المرأة عند لوكيليوس وهوراتيوس

بقلم

هانم محمد فوزى

لم تعش المرأة الرومانية منعزلة كما عاشت اليونانية التى كانت حياتها فى مكان منعزل ن البيت أشبه بالحرملك ولا يقترب منه أى رجل إلا إذا كان من محارمها [1] . أما عند الرومان د كانت الزوجة هى سيدة البيت أو ربة الأسرة mater familias . وكانت تشارك زوجها مسئولية فى الإشراف على العبادة الخاصة بأسرتهما [2] . وكانت تستقبل الزوار وتجالس ضيوف على نفس المائدة . كما كانت تصطحب زوجها فى حفلات العشاء وكذلك كانت تختلط لرجال فى الأماكن العامة . وكان للمرأة احتفالاتها الخاصة فى الأول من مارس . وأيضاً انت الرومانية تحتفل بعيد ميلادها وتتلقى الهدايا بهذه المناسبة ومن الطبيعى أن زوجها كان ستشيرها فى كل أمور الأسرة [3] . وفى الريف كانت المرأة تقوم برعاية الحيوانات والدواجن تجهز الطعام لزوجها وللعاملين فى المزرعة . وعلى جهد هذه الزوجة كان يتوقف نجاح العمل . من ثم فقد كانت المرأة الريفية مشغولة طوال اليوم بالعمل الشاق الذى لم يترك لها أى مجال تفكير فى شىء آخر . وكانت تتغلب على مشاكلها مع زوجها بالصبر ومحاولة التكيف معها . لقد كانت المرأة الرومانية، وخاصة الريفية ، صلبة ومقتصدة وورعة ، وقد امتدحها يوفينياليس ى أشعاره [4] .

ورغم هذا فلم تكن للمرأة الرومانية أهلية مستقلة أمام القانون ، إذ كانت خاضعة لأبيها قبل زواج ثم لزوجها بعد ذلك . وكان ثمة نوعان من الزواج : الأول تكون فيه الزوجة تحت يد زوج ، أما الثانى فتظل فيه تحت يد أبيها وتكون هى المتحكمة فى أملاكها . وبالإضافة إلى لذين النوعين كان ثمة نوع آخر غريب بعض الشىء إذ كانت تباع العروس للعريس بحضور خمسة شهود وشخص سادس يحمل ميزاناً لوزن النقود . وكان يقوم بترتيبات الزواج الأب أو لوصى ويقدم الدوطة للعريس الذى يقدم بدوره خاتماً للعروس تلبسه فى بنصر يدها اليسرى إذ

أن يد حرتا متصل بالثلب . وكان يُسمح للفتاة بالزواج فى الثانية عشرة من عمرها ، أما النساب فى الرابعة عشرة . وإذا تأخرت الفتاة فى الزواج وقاربت سن العشرين ، فكان على أهلها أن يزيدوا قيمة الدوطة لإغراء الراغبين فى الزواج [٥] . وكان للزواج مفهوم أخلاقى اجتماعى قوى جداً عند الرومان ، كما كان للأسرة سلطان كبير على أفرادها إذ كان على رأسها رب الأسرة pater familias وتحت ذكور الأسرة وتحتهم إناثها ثم يأتى بعد هؤلاء المحررون ثم التابعون ثم العبيد . وقد حددت الألواح الاثنا عشر كيفية التعامل مع أى خروج عن العرف [٦] . ومع هذا كان الكبار يغضون الطرف عن العلاقات غير الشرعية المؤقتة التى كان يقيمها الشباب قبل الزواج . أما الفتاة الرومانية فقد تربت على أن واجبها الرئيسى هو الشئون المنزلية والإخلاص للزوج . وهذا التأكيد على العفة pudicitia التى تميزت بها الرومانية الأصيلة مقابل الفضيلة virtus التى تميز بها الرومانى الأصيل ، هذا التأكيد يرجع إلى كون المجتمع الرومانى أبوياً وعلة المرأة هى الضمان الوحيد لاحتراف الزوج بأبوته للأبناء ومن ثم كانت معظم نساء روما فضليات مؤمنات بالعفة وينظرن إلى علاقات الرجال غير الشرعية باحتقار ويتقبلنها على مضض [٧] .

وظلت الأسرة الرومانية متماسكة وذلك كل فرد فيها يقوم بدوره خير قيام لمواجهة متطلبات الحياة اليومية الشاقة فى مجتمع تتسم حياته بالجدية واحترام العمل الشاق والشعور الدينى بالواجب نحو الأسرة والمجتمع والآلهة ، مما أكسب الرومان صلابة وشجاعة مكنتهم من الانتصار على أعدائهم ، وخاصة عدوهم اللدود هانيبال الذى هزمه عام ٢٠٢ ق.م . وهذا التاريخ يُعد نقطة تحول فى تاريخ المجتمع الرومانى من الاستقرار إلى الاسترخاء لدرجة أن فاليريوس ماكسيموس Valerius Maximus يقول بعد أكثر من قرنين أن يوم انتهاء الحرب البونية الثانية كان يوم أسود فى تاريخ روما [٨] . ثم جاء انتصار الرومان فى الحرب المقدونية الثالثة عام ١٦٨ ق.م وعاد المنتصرون لينقلوا إلى إيطاليا الرومانية النزوع إلى ترف العيش الذى كانت تحياه الشعوب المتحدثة باليونانية . وتلى ذلك القضاء التام على قرطاجة عام ١٤٦ ق.م.

وأصبحت روما القطب الأوحد بلا منازع وبلغ الاسترخاء مداه .

وقد تبع ذلك حركات تمرد من قبل النساء استفزت كاتو الأكبر الذى عاش ثلاثة وثمانين عاما (٢٣٤ - ١٤٩ ق.م) شهد خلالها انحدار الأخلاق الرومانية . وفى عام ١٩٥ ق.م كان يشغل منصب القنصل فانبرى لمحاربة هذا الاتجاه الجديد بحماس وعناد . ولعلنا لا ننسى قولته الشهيرة : "إننا نحكم كل الرجال ولكن زوجاتنا يحكمننا . ويردن التحكم فيمن هم ليسوا بأزواجهن إذ يتظاهرن ويردن التدخل فيما لا يعنيهن . إنهن لا يطلبن التحرر وإنما التحلل ، فإذا فلت الزمام من يد الرجال ووصلن إلى ما يطلبن من مساواة فسوف يصبحن هن السادة ولن يتمكن الرجال من السيطرة على زوجاتهم ولا بناتهم ولا حتى أخواتهم". ونجد المزيد والمزيد فى مؤلفه القيم Origines .

بيد أن عجلة الزمن لا تعود إلى الوراء ، فلم تعد المرأة الرومانية قانعة بوضعها القانونى واضطر المشرعون إلى سن قانون يسمح للمرأة بعد أن تصل إلى سن الخامسة والعشرين من عمرها بأن تخضع فقط لإشراف وصى tutor . وأصبحت لها ذمة مالية منفصلة ، خاصة إذا أنجبت ثلاثة أطفال أما المحررة فبعد أربعة أطفال . وأصبح بإمكان المرأة تطليق نفسها . وفى الخمسين سنة الأخيرة من عصر الجمهورية ظهرت امرأة رومانية جديدة تنصب كل اهتماماتها خارج جدران بيتها . وأصبحت لها حقوق سياسية ومشاركات فى الحياة الثقافية وفى الشئون العامة لزوجها وابنها . وفى نفس الوقت كانت هناك الكثيرات من القانعات بالشئون المنزلية فقط، وهذا بالتأكيد فى الأقاليم أكثر منه فى روما نفسها . وبانتهاء الحروب واستعادة السلام على يد أغسطس عام ٢٧ ق.م وحتى موت نيرون عام ٦٨م ، وهى فترة تقارب قرنا من الزمان حكم خلالها خمسة أباطرة متميزين ونساؤهم أيضا كن متميزات وتركن بصمات واضحة على التاريخ الرومانى [١] .

وقد مكن النظام الجديد المرأة الثرية من الاستمتاع بوقت الفراغ والكتابة والاستماع للشعر أو الرسم أو التطريز أو العزف على آلة موسيقية أو الاستماع إلى الموسيقى . وأصبحت النساء

يحضرن العروض المسرحية وسباق العجلات والمصارعة كما كن يذهبن إلى الحمامات العامة والمحلات . وكذلك كن يربين الحيوانات الأليفة والطيور [١٠] . أما المرأة الفقيرة فكانت تعمل بالخدمة فى المنازل. كما توجد بالنقوش إشارات إلى بائعات الملابس والخياطات والغسالات والنساجات وبائعات السمك والساقيات فى الحانات . إلا أن الحرفة المألوفة للنساء هى صناعة الملابس وكل ما يتعلق بها . وبالطبع كانت زوجات البائعين يساعدن أزواجهن فى دكاكينهم ومعظمهن كن من المحررات [١١] .

وبالإضافة إلى هذه الحرف اختارت بعض النساء حرفة البغاء وكن فى أغلب الأحوال من الأجنبيات . وكان لهن مظهر متميز إذ كن يبالغن فى استخدام صبغات الوجه وكن لا يغطين شعورهن وكن يلبسن رداءً مزركشاً قصيراً بينما كانت السيدة المحترمة ترتدى رداءً طويلاً stola . وهؤلاء النسوة كن مسجلات عند حاكم المدينة aediles ، وكن يدفعن ضريبة من عهد كاليجولا . وكان الشباب ، حتى المنتمين إلى أسر طيبة يترددن على بيوت البغاء . ولم يجد شيشرون حرجاً من الإشارة إلى ذلك فى دفاعه عن كايليوس عام ٥٦ ق.م [١٢] . وحتى كاتو المشهور بصرامته يقال أنه شجع شاباً على التردد على تلك الأماكن أفضل من إغواء سيدة متزوجة ، ولكنه عندما بالغ فى الأمر اعترض على تصرفه هذا . وكان أصحاب هذه البيوت يعملون بالنخاسة أيضاً ، ولمارتياليس إيجراما عن نخاس يعرض جارية للبيع [١٣] . وهؤلاء البغايا كن يعشن فى الماهور نفسه مقابل إيجار يدفعنه لصاحب المكان . وأحياناً كن يعملن بالتعاون مع الحمامات العامة . وهذه الفئة من البغايا كن للفقراء وللأشخاص العاديين . أما الأثرياء فكانوا ينعمون بالمحظيات المثقفات المقيمات فى بيوت لائقة ولهن خدم وحشم يتكفل بهم جميعاً هؤلاء الأثرياء . وكانت حياة المحظية تكلف الكثير مما أوقع الكثيرين من شباب روما فى الديون بسبب هؤلاء المحظيات اللائى أصبحن ظاهرة فى أواخر العصر الجمهورى ، وقد أشار بروبرتيوس إلى هذا [١٤] . وكانت المحظية غالباً رومانية وأحياناً محررة . فإذا كانت رومانية وكانت متزوجة فلم تكن تتعرض للعقاب على الزنا . وبعد قانون أغسطس أصبح المترددون عليها

من الرجال لا يُتهمون بالإغراء أو الزنا . وفي عهد تيبريوس سجلت سيدة متزوجة نفسها عند حاكم المدينة على أنها محظية رغم كونها من عائلة محترمة بها قضاة praetores ، والأغرب من هذا أن التسجيل تم بعلم زوجها !!! مما أضطر السناتوس إلى إصدار قرار بعدم منح رخصة لامرأة ينتمي زوجها أو أبوها أو جدها إلى طبقة الفرسان ولا من أعلى منهم أي أعضاء السناتوس . ويشير هوراتيوس إلى اشتراك الأزواج في هذه الأعمال المشينة [١٥] ، وأيضاً يوفيناليس [١٦] . كما يصف هوراتيوس مراهب هذه المحظيات في حفظ الشعر والعزف على القيثارة والرقص الخليع [١٧] . كما نجد لهن وصفاً عند كل من بروبرتيوس [١٨] وأوفيديوس [١٩]. أما إذا كانت هذه المحظية غير متزوجة فإن مصيرها المحترم بعد زوال شبابها وجمالها هو الوحدة والمرض والعوز . ويصف لنا هوراتيوس مشاعر إحداهن وقد وصلت إلى هذه الحال التعسة [٢٠].

أما داخل البيوت فكان للسيد ما ملكت يمينه من الإماء وبموافقة الزوجة ، ومثالنا على هذا ميساليا زوجة أغسطس نفسه التي لم تكن تقلقها علاقته بالإماء . والأكثر من هذا أن أرملة سكيبيو أفريكانوس أعتقت الأمة التي كانت خليلته ، بل وبحثت لها عن زوج محرر هو الآخر . أما إذا كان السيد أعزب وشاب ويحب الأمة إلى درجة تجعله يرغب في الزواج منها ، فما كان عليه إلا أن يعتقها حتى يتمكن من إتمام الزواج . طبعاً إذا لم يكن من عائلة لها صلة بمجلس السناتو . ولكن هذه الحالات كانت نادرة لأن مثل هذه الزيجة لم تكن تلق قبول المجتمع ، ومن ثم كان يفضل الشاب الاحتفاظ بها كخليلة فحسب [٢١] .

وأطلق الرومان العنان لشهواتهم ورغبوا عن الزواج ، خاصة بعد تحقيق السلام واستتباب الأمن وانتشار الرخاء والترف وزيادة عدد المعتقات والإماء من كل حدب وصوب مما حدا بأغسطس إلى وضع خطة لإصلاح الأخلاق الرومانية ولتحسين حال السناتوس وطبقة الفرسان . وكجزء من خطته هذه أصدر قانون يوليوس عن الزناة lex Iulia adulteriis ثم أشفعه بقانون آخر هو قانون القنصلين بابيوس بوبايوس lex Papia Poppaea . وهذان القانونان بالإضافة إلى

حظهما على الزواج كانا يحرمان على عضو السناتوس الزواج من امرأة اتهمت بالزنا ، ويحتمان على الزوج تطليق زوجته فى حالة ثبوت تهمة الزنا عليها وإلا اتهم بأنه قواد . كما أعطى القانون للزوج أو الأب حق قتل المرأة المتزوجة matrona فى حالة ثبوت تهمة الزنا عليها ، وألزم القانون بقتلها هى وشريكها فى آن واحد أما إذا كان هذا الشريك من الرجال ذوى السمعة السيئة infamis فقد كان للزوج الحق فى قتله هو فقط ويكتفى بطرد الزوجة وإعلان ملابسات الجريمة على الملأ خلال ثلاثة أيام من وقوعها . وكان ثمة عقاب آخر للزناة وهو نفيهما إلى جزيرتين مختلفتين ومصادرة نصف أملاكهما ، وغالباً ما كانت هذه العقوبة لعلية القوم ، فمعظم الحالات المسجلة تتعلق بالأسر الحاكمة [٢٢] .

وجريمة الزنا قانوناً هى معاشرة المتزوجة أى السيدة المتزوجة matrona أو الخليلة . فيما عدا هذا كان للرجل حتى ولو متزوج حق معاشرة من يشاء ، حتى ولو رجل آخر بشرط ألا يكون حراً . وحتى فى حالة معاشرته لعقيلة فلم يكن لزوجته الحق الصريح فى مقاضاته على هذا الجرم وذلك حتى أواخر عصر الإمبراطورية . كل ما كانت تملكه هو طلب الطلاق ، وقد أيد كاتو هذا استناداً إلى السلطة imperium المخولة للرجل على زوجته التى هى تحت سيطرته sub manu . أما الرجل المحرر أو العبد فلم يكن له حق معاشرة امرأة أعلى منه اجتماعياً ، وإذا ثبت ذلك ، فقد كان يعاقب بشدة ، أما هى فكانت تحرم من الزواج من رجل حر . وقد سجل تاكيتوس فضائح نساء الطبقة العليا التى أصبحت تستخدم الزنا كسلاح سياسى [٢٣] . ولذلك أصبحت جريمة الزنا فى العصر الإمبراطورى جريمة عامة ، وإذا كانت المرأة من عائلة الامبراطور ، فكانت جريمة الزنا معها تعد خيانة عظمى [٢٤] .

وقد رصد الهجاؤن الرومان كل هذه المتغيرات التى طرأت على المجتمع الرومانى وسجلوها فى هجائياتهم واختارت منهم لوكيليوس وهوراتيوس اللذين عاصرا فترتى التغيير الرادنج فى المجتمع الرومانى . فالأول عاش فترة سيادة روما على بلاد اليونان وازدياد التأثير اليونانى على إيطاليا وتدفق الثروة على روما . كما شهد هزيمة أسبانيا وتدمير قرطاجة وحركة

خوين جراكوس وفضيحة يورجورثا . أما الثانى فقد عاصر فترة انهيار الجمهورية وانهيار جتمع الرومانى معها . كما عاش أيضاً فترة السلام الرومانى Pax Romana الذى تحقق على أغسطس والذى بفضله انهالت الثروات على روما من كل حدب وصوب وشهد المجتمع ومانى جواً جديداً لم يألفه من قبل إذ زاد الانغماس فى الملذات هروباً من الاشتغال بالسياسة مسائل العامة وتعويضاً عن الحرية المفقودة . وازداد عدد العبيد المنتمين لجنسيات عديدة ذين باشروا تأثيراً هاماً على أخلاق الرومان .

ولنبدأ بلوكيليوس [٢٥] الذى تبقى لنا من كتبه الثلاثين حوالى ألف وثلاثمائة بيت على هيئة رات متفرقة . ويأخذ كل بيت منها رقماً سيجده القارئ بجانب القطوف التى انتخبتها ، والتى سبقها الترجمة الحرفية لها مع إضافة كلمة أو أكثر بين قوسين من عندى كلما وجدت ضرورة ك ، إذ أن القارئ القديم كان يمكنه إضافة هذه الكلمات من تلقاء نفسه لاعتياده على أسلوب لاء الشعراء . أما القارئ الحديث فسيجد صعوبة فى فهم المعنى بدون هذه الإضافات .

أولى هذه القطوف شذرة من ثلاثة أبيات يقول فيها :

حيث أنه إذا لم تستطع أية امرأة أن تكون ذات جسم صلب
فإن قوتها تكمن فى ذراعها الرقيق
ويدها (التى) تغوص فى حلمة مُرضعة من ثدييها.

167-9 Quod si nulla potest mulier tam corpore duro
esse, tamen tenero manet cui sucus lacerto,
et manus, uberibus lactanti in sumine sidat,"

وهنا يؤكد لوكيليوس على أن المرأة إذا لم يكن لها جسم قوى مثل جسم الرجل فإن قوتها ن فى ذراعها الرقيق الذى تحمل عليه وليدها لترضعه . ويصف لنا وصفاً دقيقاً الوضع حيح للإرضاع إذ تمسك الأم بالحلمة بين أصابعها حتى تمكن الوليد منها بسهولة ، وهى إذ

فعل هذا تفرص يدها فى الثدى الممتلئ باللبن . ولابد أن لوكيليوس قد رأى هذا المشهد مـــرأى لعين ، وبما أنه لم يتزوج فربما يكون قد شاهد إحدى قريباته أو إحدى القرويات وهـــى ترضـــع وليدها مما حرك فيه هذه المشاعر الناضجة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على إدراكه الواعى لمهام الطبيعية لكل من الرجل والمرأة . فإذا كان الرجل قوى البنية فإن المرأة هى التى منحتـــه هذه القوة من لبنها ومن ثم فإن الطبيعة لا تستغنى عن أى منهما حتى ولو كان ضعيفا ظاهريا .

وفى شذرة أخرى يتحدث عن حماية الأم لصغارها :

أن يقرب غيـر معاقـب من أشبـال لبـوة غاضبـة.

320 <Leaei> ratae ad catulos accedere inultum

فمن حالة الحنو الشديد فى الشذرة السابقة ينقلنا إلى حالة الغضب الضارى الذى تصاب بـه أية أنثى عند اقتراب أى خطر من صغارها . وهنا إعلاء لشأن المرأة وتقدير لمشاعر الأم عنـــد تعرض ابنائها للخطر .

وفى شذرة ثالثة يتحدث لوكيليوس عن وصية رجل لزوجته قائلا :

رجـــل أورث لزوجتـــه بوصية همـــامـــا بأكملـــه ومخـــزنا؛

552 Leagavit quidam uxori mundum omne penumque ;

وهنا يشير لوكيليوس إلى اهتمام زوج بزوجه لدرجة أنه أوصى لها بثروة كبيرة ترثها من بعده . وهذا دليل على وجود مودة ورحمة بين الزوجين وعلى حرص هذا الرجل علـــى توفـــير الأمان لزوجه بعد مماته . وهذا يدل على روابط أسرية قوية .

وفى شذرة رابعة يصف لوكيليوس لحظة اعتذار رقيقة إذ يقول :

" هالما أطلب عفوها ، هالما أهدئها ، هالما اتقرب إليها ، هالما أدعوها غاليتى."

737 "Pacem cum peto cum placo, cum adeo cum appello meam."

إنه لوصف رائع فعلا لمشاعر إنسانيـة خالية من الصلف والعجرفة وكلها نضـــج وفـــهم واع لطبيعة المرأة التى تحتاج إلى الحنو والتودد حتى تهدأ وتصفح . وهذا دليـــل علـــى إعـــزاز

الرجل للمرأة واهتمامه بأن تصفح عنه ويسعى إلى إرضائها بكل السبل .

وفى شذرة خامسة يقدم صورة أخرى لاحترام الرجل لزوجه فيقول :

عندما يحضر عبيدى الصغار إلى ، ألن أدعو ربة البيت (أمامهم) خاليتى ؟

738 "Cum mei me adeunt servuli, non dominam ego appellem meam?"

ويستمر إعزاز الرجل لزوجه وتدليله إياها حتى أمام الخدم . وهذا دليل على أن إظهار مشاعر الود من قبل الزوج نحو زوجه لم يكن شيئا مخجلا ولا يقلل من قدره . وهذا دليل أيضا على أن الجو الأسرى كان مفعما بالحب والحنان والمودة والرحمة .

وفى شذرة سادسة يدعو رجل لامرأة بكل الخير قائلا :

فليحفظها (الإله) ويمنحها موفور الصحة وأتمها.

739 Sospitat, impertit salutem et plenissimam.

هذا الدعاء الشامل هو أفضل ما ندعو به لأنفسنا ولأحبائنا ، فالحفظ من شياطين الجن والإنس مع الصحة التامة هما أغلى ما يتمناه الإنسان ، وإذا تمتع بهما كانت حياته سعيدة وموفقة وهانئة . وهذا يدل على فهم من قبل لوكيليوس لأهم شيء فى الحياة وهو الصحة النفسية والجسدية ، فلم يدعو بالمال أو الجاه أو البنين مثلا . وربما كان اعتلال صحة لوكيليوس هو السبب فى شعوره بأهمية هذه النعمة ، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى .

وفى مقابل هذه الصورة الحالمة لعلاقات ملؤها المودة والرحمة نجد صورا أخرى أقل إشراقا تكون المرأة فيها هى السبب فى جعلها هكذا إذ يقول فى إحدى شذراته :

(إذا رأيت) زوجة خائنة (فسترى حتما) عائلة بائسة وبيتا مدنسا.

693 "coniugem infidamque pathicam familiam inparum domum"

فهذا تأكيد على أهمية عفة الزوجة لأن خيانتها تجلب البؤس والشقاء على كل أفراد الأسرة وتدنس بيتها فيبوء بغضب الآلهة ويحل عليه الخراب .

ثم يسوق لنا بيتين يصف فيهما حيل بعض النساء قائلا :

عندما يكون عندها "مشوار" فى مكان ما وتختلق سببا للخروج
إما عند الصائغ أو عند أمها أو قريبة أو صديقة،

1096-7 aut cum iter est aliquo et causam commenta viai
aut apud aurificem, ad matrem, cognatam, ad amicam,

ما أشبه اليوم بالبارحة ، فالأسباب هى نفسها التى تعلل بها بعض العابثات عند غيابهن فى ماكن غير معلومة . وكلمة "مشوار" هى ترجمة iter بمعنى رحلة أو سير ، وقد وجدت هذه لكلمة العامية أنسب للمعنى الذى يقصده لوكيليوس والذى يستعمل أيضا لغة الحديث اليومى .

وثمة مثل آخر حى يتكرر فى كل زمان ومكان :

" عندما تكون معك فأى شىء يكون كافيا ، أما إذا ما ظهر رجال
غرباء فسرعان ما تبدى جديلتها وعباءتها وحزامها."

534-5 "cum tecum est, quidvis satis est; visuri alieni
sint homines, spiram pallas redimicula promit."

هنا يشكو لوكيليوس من الزوجة التى لا تهتم بمظهرها عندما تكون مع زوجها بينما تبدى كامل زينتها للرجال الغرباء . ويبدو أن هذا التصرف فطرى ولذلك حرصت الأديان على مقاومته ، فاللائى يبدين زينتهن لغير بعولتهن يتسببن فى الكثير من المفاسد .

ويأتى لنا بنموذج آخر سيئ للمرأة :

الصوف ، وكل عملها يتلف ، تعفن العثة يمزق كل شىء.

1104 lana, opus omne perit ; pallor timiae omnia caedunt

هنا يشير لوكيليوس إلى المرأة المهملة التى ما أن يغيب زوجها عن البيت حتى تهمل كل شئونها المنزلية وتترك الصوف يتلف وتضرب العثة فى كل الملابس وتحولها إلى أسمال بالية .

ويقدم لنا لوكيليوس أسوأ صورة يمكن أن يوصف بها زوج فى الشذرة التالية :

لا أنـام من أجـل الجميـع

251 Non omnibus dormio

تعزى هذه العبارة التى أصبحت مثلا إلى شخصية بغيضة يدعى صاحبها كيبيوس Cipius وقد أطلق عليه Pararhenchon أى الذى يغط فى النوم إلى جانبها ، إذ كان يتظاهر بالنوم لكى تتمكن زوجته من ارتكاب جريمة الزنا بدون عقاب . لكنه يهب من نومه فى الحال إذا حاول شخص ما سرقة النبيذ . وكل هذا من أجل مشاركة زوجته فى هدايا شريكها فى الجريمة ، فليس سوأ منه دليل على التحلل الخلقى الذى أصاب بعض أفراد المجتمع الرومانى بعد أن سادته القيمة المادية وعشى الجشع أبصارهم لدرجة أن هذا الديوس يضحى بأثمن شىء لديه من أجل أشياء تافهة . وسبق أن ذكرت فى المقدمة أن هذه الظاهرة جعلت المشرع يتهم الزوج بالقوادة إذا ما ثبت عليه هذا الفعل المشين . ولكن يبدو أن القوانين لم تنجح فى إصلاح ما أفسده الدهر بدليل أن الأمور تفاقمت على عهد يوفيناليس الذى يصف لنا فى هجائيته الأولى (٥٦ – ٥٧) هذا الديوس بأنه :

" ..... ماهر فى النظر إلى السقف
وماهر فى النوم بجانب النبيذ بأنف يقظة " .

ويأتى لوكيليوس بمثل آخر سيئ إذ يقول :

سواء أكان بالعام الماضى أم هذا العام فقد سرقتى نفسك من زوجك

794 "utrum anno am horno tete abstuleris a viro."

هذه محاولة من قبل شخص لإغواء سيدة متزوجة على خيانة زوجها ميسرا عليها الأمر قوله أن هذه ليست المرة الأولى فأكيد أنها سرقت نفسها من زوجها قبل ذلك أى أنها سلبت زوجها حقا ملكا له وحده ، وهى حقيقة لم يستطع هذا العابث إنكارها حتى وهو يحاول إقناعها

لإقدام على هذه الجريمة الشنعاء التى من الممكن أن يدفعا حياتهما ثمنا لها إذا ضبطا متلبسين .

وثمة عدد لا بأس به من الشذرات تتحدث عن البغايا اخترت أنسبها للنشر ، وفى إحـــدى ذه الشذرات يقول لوكيليوس :

امرأة تأمل فى هرمانى من الكـــأس ومـــن الأطبـــاق الفضيـــة
ومـــن الشـــــال ومـــــن المـــــرآة العـــاجيـــة .

640-1 "depoclassere aliqua sperans me ac deagentassere
decalauticare, eburno speculo despeculassere."

لعل لوكيليوس يقصد هنا إحدى بنات الهوى اللاتى يتفنن فى تجريد من يقع فى حبائلهن مـــن متلكاته . فكلمة aliqua تعنى امرأة ما ، ولم يحدد أية صلة قرابة بها ، إذن فهى إحدى الغانيـات لاتى بسببهن كان يفقد الكثير من الرجال ثرواتهم إرضاء لنزواتهم إذ يسقطون فريسة لشـــهواتهم لجشع تلك الفئة المستغلة .

ولكن هناك من يرفض هذا الاستغلال ، فنجد أحدهم يقول :

إذا طلـبت منى قـدرا مـــن الـذهب ، فـلن أعطهـا مثلـه من الحـديد؛

642 "Ferri tantum, si roget me, non dem quamtum auri petiti, .

فالزبون هذه المرة حريص وجاهز للمساومة ، ولكن أفلح إن صدق .

وثمة رأى آخر فى هذا الشـأن نجده فى الشذرة التالية :

أكيـد إذا أعطيتهـا ما تطلب وإذا أضفت عليه غير مبال،

920 Si vero das quod rogat et si suggeris suppus,

هنا ينصح أحدهم الآخر بأن يجزل العطاء حتى تحسن هذه البغى معاملته وتقدم لـــه خدمـــة متازة تتناسب وسخائه معها ، فكلما زاد العطاء زاد الاحتفاء به بكل تأكيد .

وتصديقا على هذا الرأى تقول إحدى الشذرات :

إذ أنهم بعد أن اصطادوا الثن حجزوا القوبيون بالخارج

938 quod thynno capto cobium excludunt foras.

هنا يشير لوكيليوس إلى جشع تلك الفئة من الغانيات اللائى ما أن يقمن على صيد ثمين حتى طردن الأقل ثراء ولكن فى نفس الوقت يحتفظن به بالخارج إلى أن يفرغن من الأغنى . وقد شبه وكيليوس هذا الصيد الثمين بسمك التونة الفاخر بينما شبه الفقير بسمك القوبيون شائك الزعانف ذى لا يقتربون منه إلا وقت عوزهم فقط .

كما يشير لوكيليوس إلى كثرة تكاليف هذا الأمر قائلا :

ما تنفقه فى المواخير وأنت (تدور) شبقا في أرجاء البلدان.

1071 quem sumptum facis in lustris circum oppida lustrans.

وهذا دليل على انتشار البغاء بصورة كبيرة حتى فى الأقاليم كما يتضح من كلمة oppida . قد كان سكان الأقاليم فى الماضى يهتمون بالعمل الشاق من أجل كسب قوتهم ولا وقت لديهم لمثل هذا العبث ، ولكن بعد تحسن الأحوال المادية بدأت تسوء الأحوال الأخلاقية !

وينصح لوكيليوس بتقليل النفقات قائلا :

اللائى سيطلبن أقل وسيتصرفن بطريقة أكثر ملاءمة وبدون فضيحة

927-8 Quae et poscent minus et praebebunt rectius multo et sine flagitio .

هنا ينصح لوكيليوس بالتردد على الأماكن الأقل تكلفة أى الذهاب إلى المحترفات اللائى من خدماتهن بطريقة مرضية وفى نفس الوقت لا يتعرض للمساءلة القانونية والفضيحة إذا ما بط مع عقيلة أو خليلة .

ثمة شذرة فكرتها غريبة بعض الشيء يقول فيها :

جفف دموعك ولتتضرع للآلهة بالبخور

بعد أن نعترف بذنبنا ، أيسمح للبغايا (العيش) بلا عقاب ؟

249-50 <Absterge lacrimas> et divos ture precemur

consilium fassi, placeatne luperis,

هنا نجد بغيا تبكي ندما على حالها ونجد رجلا ، لعلة لوكيليوس نفسه ، يحاول مواساتها بحها ونفسه بالتضرع إلى الآلهة بالبخور حتى يغفروا لهما خطيئتهما . إذن هناك اعتراف من ين بالإثم ، بل ويقين من أن البغى لن تفلت من عقاب الآلهة على هذه الحياة الآثمة . إذن رة السرية التى فطر الله الناس عليها من قديم الأزل تعتبر أن البغاء محرم عند الآلهة رغم بشر أجازوه قانونا . وهذا فكر متقدم جدا وضمير حى نكبر لوكيليوس عليه ، فهو جدير فعلا قال عنه أنه صديق الفضيلة وأصدقاء الفضيلة .

ثم يتحدث عن فطرة أخرى فى الشذرة التالية :

الرجال أنفسهم وبمحض إرادتهم يجلبون لأنفسهم هذا العنت وهذه المشقة،

إذ يتخذون زوجات وينجبون الأطفال الذين من أجلهم يقطون هذا.

644-5 "Homines ipsi hanc sibi molestiam ultro atque aerumnam offerunt,

ducunt uxores, producunt quibus haec faciant liberos."

هنا يشير لوكيليوس إلى المشقة التى يعانيها الرجال المتزوجون بمحض إرادتهم . لقد أقدموا الزواج رغم معرفتهم بما سيلاقونه من متاعب ولكنهم يتحملونها من أجل الأطفال الذين ملون أسماءهم . إنها الفطرة التى فطر الله الناس عليها منذ بدء الخليقة حتى تعمر الأرض استخلف الإنسان عليها .

ونفس الفكرة نجدها فى شذرة أخرى :

هكذا من أجل طفل أتصرف بحماقة وأتمم المهمة.

646 "qua propter deliro et cupidi officium fungor liberum".

ويكمل لوكيليوس المعنى الذى ذكره فى الشذرة السابقة ويؤكد على أن الرجل يدرك جيدا أنه يقدم على حماقة وعلى فعل جنونى ولكن شغفه بالأطفال ينسيه كل هذا ويشجعه على إتمام الزواج .

ولعل هذا القدر من شذرات لوكيليوس يكون كافيا لتكوين فكرة عن المرأة المعاصرة له .

وإذا ما انتقلنا إلى هوراتيوس [٢٦] فسنجد أنفسنا فى نفس جو هجائيات لوكيليوس ، وقد خترت هجائيته الثانية من الكتاب الأول لأنه نظمها على نفس نمط هجائيات لوكيليوس . وقد فتتح هجائيته هذه بمقدمة (١ - ٢٢) يتحدث فيها عن حمق البشر ليصل بنا إلى فكرته الرئيسية لتى يبدأها متسائلا :

لكن إذا سأل شخص ما الآن "إلى أين تقود هذه الأشياء ؟ " إلى هنا :
طالما أن الحمقى يتجنبون الرذائل ، ويجرون إلى عكسها.
فمالتينوس يسير بثياب متدلية ، وهناك الأنيق الذى ٢٥
(يسير بثياب) مرفوعة فوق الحنية بغير احتشام
روفيللوس رائحته باستيلية [٢٧] ، جارجونيوس (رائحته) رائحة الجدى .
ليس ثمة وسط . فهناك من يرفضون أن يمسوا إلا أولاء
اللاتى ينطلى عظام كواحلهن رداء بحاشية مهذبة [٢٨]
عكس الآخر (الذى لا يحب) أية امرأة إلا التى بالماخور ذى الرائحة الكريهة[٢٩] ٣٠
بينما كان رجل معين معروف يخرج من الماخور ، قيل له " فلتبارك
رجولتك" (هذا هو) رأى كاتو المبجل :
" فبمجرد أن تنفخ الرغبة البذيئة الأوردة ،

يكون أفضل أن يذهب الشباب إلى هناك ، من أن
يواقعوا زوجات غريبات" . ويقول كوبينيوس ٣٥
"لن أرغب فى المديح ، إذ أننى مغرم بالمرأة (٣٠) ذات الرداء الأبيض.

Si quis nunc quaerat "quo res haec pertinet?" illuc :
dum vitant stulti vitia, in contraria currunt.
Maltinus tumicis demissis ambulat ; est qui 25
inguen ad obscenum subductis usque facetu.
Pastillos Rufillus olet, Gargonius hircum.
nil medium est. sunt qui nolint tetigisse nisi illas
quarum subsuta talos tegat imstita veste :
contra alius nullam nisi olenti in formice stantem. 30
quidam notus homo cum exiret fornice, "macte
virtute esto" inquit sententia dia Catonis:
"nam simul ac venas inflavit taetra libido,
huc iuvenes aequum est descendere, non alienas
permolere uxores." "nolim laudarier," inquit 35
"sic me," mirator cunni Cupiennius albi.

فى هذه الفقرة يلخص هوراتيوس حال البشر الذين يتخبطون من النقيض إلى النقيض . فالبعض محافظ ومحتشم أكثر من اللازم فى مظهره بينما البعض الآخر مبتذل . والبعض يتعطر بدرجة مبالغ فيها والبعض الآخر تزكم رائحته الأنوف . وهذا التطرف فى المزاج موجود أيضا فى العلاقات الحميمة ، فالبعض يفضلها متزوجة والبعض يفضل البغى . والرأى العام – حتى

كاتو نفسه – يفضل أن يلجأ الشباب إلى دور البغاء على أن يقيموا علاقة غير شرعية مع نساء رجال آخرين . وقد امتدح كاتو شابا على هذا الصنيع ، ولكن ثمة من يزهد فى هذا المديح ويصر على تدنيس فراش الآخرين بالاتصال بزوجاتهم اللائى يتميزن بالرداء الأبيض .

*

ولكن هوراتيوس يطمئن المجتمع قائلا :

سماع (الآتى) جدير بالانتباه يا من لا ترغبون فى استمرار
الزناة بسلام ، و(تتمنون) أن يتألموا فى كل جزء (من أجسامهم)
مهما كان فالرغبة الفاسدة (تأتى) إليهم بالألم الكثير
وهذه الأفعال النادرة كثيرا ما تقع فى مخاطر قاسية
فهذا ألقى بنفسه بتهور من السطح ، وذاك حكم عليه
بالموت (جلدا) بالسياط ؛ وهذا أثناء هروبه سقط وسط عصابة
خطيرة من اللصوص ، وهذا أعطى نقودا من أجل حياته [٣١] ،
وهذا رشه الخدم بالماء ؛ ولكن أيضا حدث الآتى:
أن قطع شخص الخصيتين والذيل الشبق
بالسيف . "طبقا للقانون" (كان يقولها) الجميع (بينما) كان جالبا ينكر.

Audire est operae pretium, procedere recte
qui moechis non voltis, ut omni parte laborent,
utque illis multo corrupta dolore voluptas
atquehaec rara cadat dura inter saepe pericla.
hic se praecipitem tecto dedit ; ille flagellis
ad mortem caesus ; fugiens hic decidit acrem
praedonum in turbam, dedit hic pro corpore nummos,

humc permimxerunt calones; quin etiam illud accidit, ut quidam testis caudamque salacem demeteret ferro. "iure" omnes: Galba negabat.

بهذه الفقرة يرد هوراتيوس على هذا الصفيق الذى يصر على الاتصال بالمتزوجات ذكره بالعواقب الوخيمة التى تنتظره . فمن الممكن أن يضطر للإلقاء بنفسه من عل أو أن يحكم يه بالجلد حتى الموت ، أو يتعرض للمخاطر أثناء هروبه أو لإهانة الخدم له أو تصادر أمواله، يفعل به ما هو أشنع جزاء وفاقا .

ولم يقف هوراتيوس عند التحذير فقط ولكن أوجد البديل إذ يقول :

لكن كم هى آمنة (هذه) البضاعة (التى) هى من الدرجة الثانية،
أقصد العتيقات اللاتى بهن يهيم سالوستيوس
فهو ليس أقل (شغفا) من هذا الذى يزنى . لكنه إذا ،
أراد أن يكون طيبا وسخيا ، بقدر إمكانياته ، وبقدر الباعث
الذى يدفعه ، ومهما كان معتدلا فى كرمه .
كان يعطى مبلغا كافيا ، ولكن ليس إلى الدرجة التى تجلب له
الخراب والعار . هذه الحقيقة نفسها تروق للشخص
ويحب هذا ويمدحه : " إننى لا أمس أية عقيلة."
مثلما قال ذات مرة مارسايوس ، حبيب أوريجو ذاك ،
الذى وهب مزرعة وبيت آبائه لممثلة ،
"لم يكن لى أبدا (علاقة) مع زوجات الآخرين."

Tutior quanto merx est in classe secunda, libertinarum dico, Sallustius in quas nom minus insanit quam qui moechatur. at hic si,

qua res , qua ratio suaderet , quaque modeste
mumifico esse licet, vellet bonus atque benignus
esse, daret quantum satis esset, nec sibi damno
dedecorique foret. verum hoc se amplectitur uno,
hoc amat et laudat: " matronam nullam ego tango."
Ut quondam Marsaeus , amator Originis ille ,
qui patrium mimae donat fundumque laremque,
"nil fuerit mi" inquit "cum uxoribus umquam alienis."

فالبديل فى رأى هوراتيوس هو المحررات اللاتى لا يعرض الاتصال بهن للمساءلة القانونية التى يتعرض لها الشخص إذا ما اتصل بزوجة . ومهما دفع لهن من أجر فهو أقل بكثير من مصادرة الأملاك إذا ما ضبط متلبسا بجريمة الزنا مع امرأة متزوجة ، ناهيك عن الفضيحة . ولذلك فالرجل الذى لا يمس أية امرأة متزوجة يحق له أن يفاخر بنفسه . فهو رجل فاضل إذ لا يقوم بالتعدى على حقوق غيره حتى ولو كلفه الأمر كل ميراثه .

ثم يستدرك هوراتيوس قائلا :

حقا كون الرجل مع ممثلات (أو) مع محظيات ، بطريقة أو بأخرى
يكسب سمعة سيئة وهذا أخطر من تبديد الممتلكات . أليس كافيا
تماما لك أن تتجنب (لعب هذا) الدور ، أليس ذلك الشىء
مؤذ فى كل مكان ؟ أن تفسر السمعة الحسنة ،
وأن تبدد أملاك أبيك (شىء) سيئ فى كل مكان . ما (الفارق)
إذا ما أخطأت مع عقيلة ، أو مع أمة ذات عباءة (٣٢) .
فلليوس صهر سولا ، هذا البائس الذى خدع من اسم واحد

عوقب بأكثر مما هو كاف بسبب فاوستا
إذ قتل (لكما) بالقبضات وأجهز عليه بالسيف
وهجز بالخارج ، بينما كان لونجارينوس بالداخل .
إذا وعى الشرور الجسيمة لتحدث بكلام مختلف
(ولقال) ضميره الآتي : "ماذا تريد لنفسك ؟ هل أطلب منك
سليلة قنصل عظيم وامرأة [٣٣] مثقفة
بعباءة بينما كان غضبي يشتد ؟ "
بماذا كان سيجيب ؟ " الفتاة ابنة رجل عظيم ".

verum est cum mimis, est cum meretricibus, unde
fama malum gravius quam res trahit . am tibi abunde
personam satis est , non illud quicquid ubique
officit evitare? bonam deperdere famam,
rem patris oblimare, malum est ubicumque. quid inter-
est in matrona, ancilla peccesne togata?

Villius in Fausta Syllae gener, hoc miser uno
nomine deceptus , poenas dedit usque superque
quam satis est, pugnis caesus ferroque petitus,
exclusus fore, cum Longarenus foret intus.
huic si mutonis verbis mala tanta videnti
diceret haec animus: "quid vis tibi ? numquid ego a te
magno progmatum deposco consule cummum
velatumque stola, mea cum confebuit ira?"

quid responderet? "magno patre nata puella est."

بعد أن نصح هوراتيوس فى الفقرة السابقة بالتعامل مع المحررات ، نجده فى هذه الفقرة يحذر من الممثلات والمحظيات لأن الاتصال بهن يكسب الشخص سمعة سيئة قد تكون أخطر من تبديد الممتلكات . ويعود مرة أخرى إلى التحذير من الاتصال بامرأة متزوجة ويذكر محدثه بقصة فيليوس صهر سولا الذى لو أدرك مدى الخطر والمصير التعس الذى كان ينتظره لما أقدم على الاتصال بفاوستا .

ويصل هوراتيوس إلى الحل الأمثل إذ يقول :

لكن كم هو أفضل و (كم هو) متناقض مع هذه الأشياء
إذ ترشدك الطبيعة الغنية بقوتها ، إذا أردت أن تتصرف
بطريقة صحيحة وأن تمازج بين ما يجب أن ترهبه
وما يجب أن ترغبه . أتعتقد أن أفعالك تعزى لخطئك
ولا شىء (يعزى) للظروف ؛ لذلك فلا تحسر نفسك ،
توقف عن ملاحقة الشيلات ، فمنهن فى الواقع يأتى
ما يثير الغنت والشر أكثر مما ينشأ عنه المتعة
فالفخذ أو الساق ليس أنعم بكثير ولا أجمل أيضا
عندما يكون بين البلورات البيضاء كالثلج والأخضر الزمردى

at quanto meliora monet pugnantiaque istis
dives opis natura suae, tu si modo recte
dispensare velis ac non fugienda petendis
immiscere. tuo vitio rerumme labores,
nil referre putas? quare ne paeniteat te,
desine matronas sectarier, unde laboris

plus haurire mali est quam ex re decerpere fructus.

nec magis huic inter niveos viridisque lapillos

(sit licet hoc, Cerinthe, tuum) tenerum est femur aut crus

فالحل الأمثل فى رأى هوراتيوس هو اتباع ارشادات الطبيعة أى الفطرة السوية التى تهدى لسان إلى ما يجب الإقدام عليه وما يجب الابتعاد عنه . وإذا فكر كل إنسان بهذه الطريقة وف يتوقف عن ملاحقة المتزوجات اللائى يسببن شرورا أكثر بكثير من متعة الاتصال بهن ى الرياش الفخيمة .

ويعود هوراتيوس إلى البديل الذى سبق وأشار إليه إذ يعدد هنا مزاياه قائلا :

فبالإضافة إلى هذا فهى تضع زينتها بدون أستار ، فهى
تعرض بوضوح ما لديها للبيع ، وإذا كان لديها شىء من الحسن،
فإنها لا تتباهى به بوضوح ، بينما تخفى العيوب المطلوب اخفاؤها .
فهذه هى طريقة الأغنياء ، عندما يشترون خيولا :
إذ يفحصونها وهى مغطاة ، لكى إذا كان الوجه ، كما هو غالبا ،
ذا محاسن مدعومة بقدم رشيق، (لكى) لا يغرى المشترى المبهور،
فالردفان جميلان والرأس صغير ، والعنق طويل
فهم محقون فى هذا : (إذن) لا تتأمل مفاتن الجسد
بعينى لينكيوس [٣٤] ، وكن أعمى من هيبسايا
إذا ما لاحظت ثمة عيوب . " يا لها من ساق ، يا لهما من ذراعين ! " حقا
إنه عجز نحيل ، بمنخار كبير ، وبخاصرة قصيرة وقدم طويل.

rectius, atque etiam melius persaepe togatae est.
adde huc quod mercem sine fucis gestat, aperte
quod venale habet ostendit, nec, si quid homesti est,

iactat habetque palam, quaerit quo turpia celet. 85
regibus hic mos est, ubi equos mercantur: opertos
imspiciunt, ne, si facies, ut saepe, decora
molli fulta pede est, emptorem inducat hiantem,
quod pulchrae clunes, breve quod caput, ardua cervix.
hoc illi recte : ne corporis optima Lyncei 90
contemplere oculis, Hypsaea caecior illa
quae mala sunt spectes. "o crus, o bracchia !" verum
depugis, nasuta, brevi latere ac pede longo est.

أهم ما يميز المحررة التى ينصح بها هوراتيوس هو وضوح كل شىء فيها وعدم غرورهـا بجمالها إذا كانت ذات جمال . أما إذا كانت بها بعض العيوب الخلقية فهى ماهرة فـى إخفائـها . ولذلك فلا تتفحص جسدها بدقة ، وافعل ما يفعله الأغنياء عند شرائهم لأحد الخيول إذ لا ينشغلون بشكله ولكن كل ما يهمهم هو جوهره والخصال الحميدة التى يتمتع بها .

ثم يعقد هوراتيوس مقارنة بين هذه المحررة والمتزوجة قائلا :

لا يمكنـــك رؤيـــة أى شـىء ســـوى وجـــه المقيلـــة،
إلا إذا كـانت كاتيـــا ، ذات الـرداء المنسـدل ليغطـى البـــاقـــى ٩٥
(أما) إذا كنت تسعى إلى المحرمات ، المحاطـــة بمـتراس (حيـث أن
هـذا يجننـك) ، عندئـذ ستتعرض سـبيلك أشـياء كثـيرة ،
الحـــراس ، المحفـــة ، المصففـــات ، المتلفـــلات ،
ورداؤها المنســدل حتـــى عظـــام الكاحـــل والمحـاط بدثار،
أشـــياء أكثـــر تضـــن عليـــك بأن ترى الشـىء بوضـــوح ١٠٠
فى الحالة الأخرى ، لا شىء يعوقك ؛ إذ تبدو لك فى حرير قـوص(٣٥)

كما لو كانت عارية تقريبا ، بلا ساق قبيحة ، ولا قدم بشعة ؛
إذ يمكنك أن تقيمها (تقييما) شاملا بعينيك . أم أنك تفضل
أن ينصب لك فرخ وأن يؤخذ منك الثمن قبل أن
تستعرض البضاعة ؟ " يتعقب الصياد الأرنب البرية
حتى فى الثلج العميق (لكنه) يرفض إن يلمسها إذا وضعت (أمامه) هكذا"
يغنى ويضيف (قائلا) : " ويشابه صبى هذا (الصياد) ؛ إذ أنه
يتجاهل الموضوعة فى الوسط ويراود الهاربة . "
أتأمل فى أن تتمكن بمثل هذه الأشعار أن تزيح
عن صدرك الأحزان والهيام والهموم ؟

matromae praeter faciem nil cernere possis,
cetera, mi Catia est, demissa veste tegentis.
si interdicta petes, vallo circumdata (mam· te
hoc facit insanum), multae tibi tum officient res,
custodes, lectica, cimiflones, parasitae,
ad talos stola demissa et circumdata palla,
plurima quae invideant pure apparere tibi rem.
altera, nil obstat; Cois tibi paene videre est
ut nudam, ne crure malo, ne sit pede turpi;
metiri possis oculo latus. an tibi mavis
insidias fieri pretiumque avellier ante
quam mercem ostem di? "leporem venator ut alta
in mive sectetur, positum sic tangere nolit,"

cantat et apponit "meus est amor huic similis; nam
tramsvolat in medio posita et fugientia captat."
hiscine versiculis speras tibi posse dolores
atque aestus curasque gravis e pectore pelli? 110

فى محاولة من جانبه للتقليل من مزايا المرأة المتزوجة ، يصف هوراتيوس ملابسها المحتشمة التى لا تظهر إلا وجهها كما يصف المتاريس المضروبة حولها . فإذا حاول شخص ما من المولعين بركوب الصعب اختراقها فسوف يصطدم بالكثير من العراقيل مثل الخدم والحشم . وحتى إذا نجح فى اجتياز كل هذه المصاعب ووصل إليها فسيجدها مدججة بملابس كثيرة تغطيها حتى إخمص قدميها . أما المحررة فتلبس غلالة رقيقة يمكنه من خلالها معاينة البضاعة قبل الدفع . ولكنها طبيعة البشر : فالممنوع مرغوب وما فى اليد تزهده النفس . وهذا هو ما يجعل الصياد يلهث وراء الصيد حتى ولو دخل إلى أعماق الثلج ولكنه يزهد فيه إذا وجده أمامه سهل المنال . وهو نفس السبب الذى يجعل البعض يفامر محاولا الوصول إلى المرأة المنيعة .

وهنا يكرر هوراتيوس النصيحة قائلا :

أليس من الأفيد أن تسعى إلى الحد الذى
تضعه الطبيعة للرغبات ، ما ستحققه لنفسها ،
وما ترفضه وسيعزنها حدوثه ، وأن تهجر الباطل (وتسعى) إلى الحق ؟
عندما يجفف الظمأ شدقيك ، أستطلب كؤوسا
ذهبية ؟ وأنت جائع أتتأفف كل شىء فيما عدا
الطاووس وسمك موسى ؟ عندما تستبد بك الرغبة ، وإذا
كانت هناك خادمة أو أمة أو من الأفضل غلام ، فستهجم عليه
فى الحال ، أم تفضل أن تتمزق من فرط الشهوة ؟

Nonne, cupidinibus statuat natura modum quem,

quid latura sibi, quid sit dolitura negatum,
quaerere plus prodest et inane abscindere soldo?
num, tibi cum fauces urit sitis, aurea quaeris
pocula? num esuriens fastidis omnia praeter
pavonem rhombumque? tument tibi cum inguina, num, si
ancilla aut verma est praesto puer, impetus in quem
continuo fiat, malis tentigine rumpi?

ينصح هوراتيوس مرة أخرى باتباع أوامر الطبيعة وترك الباطل والسعى إلى الحق ويضرب لا مناسبا جدا للموضوع ويسأل محاوره سؤالا استنكاريا عما إذا كان الظمآن لدرجة الجفاف يشترط كأسا ذهبية أم سيشرب من أول إناء يجده أمام حتى ولو فخار ؟ وإذا كان جائعا يرفض كل ألوان الطعام ويطلب الأطعمة النادرة فقط ؟ كذلك الحال عندما تستبد به الرغبة فهل يقنع بمن يجد أم يفضل أن يتمزق من فرط الشهوة ؟

ويعود مرة أخرى إلى مزايا المحررة قائلا :

أنا لا (أفضل هذا) : إذ أننى أحب الجمال المتاح والسهل.
"بعد قليل" ، "لكنه فى الواقع كثير" "إذا خرج زوجى" ١٢٠
تقول المرأة هذا للكاهنات ، يقول فيلوديموس [٣٦] الذى (يريد) لنفسه هذه التى
لا تكلف نفقة كبيرة ولا تتباطأ عندما تؤمر بالحضور .
على أن تكون بيضاء وممشوقة ؛ ومتقنة بالقدر الكافى ، بحيث لا تكون طويلة
ولا بيضاء أكثر مما تعطى الطبيعة لكى يرى
عندما تطوق جسمى المواعد بيمناها ١٢٥
تكون إليا وإيجريا [٣٧] ؛ وأعطيها أى اسم ،
عندما أكون بصحبتها لا أخشى أن يسرع زوجها بالعودة من الريف ،

فيحطم الباب وينبح الكلب ، وفي جميع الأرجاء
يدوى البيت بالطرق والفوضى الشديدة ، والزوجة الممتقعة اللون
تقفز من الفراش ، وتنسى وعيفتها نفسها البائسة ، ١٢٠
فهى تخاف على ساقيها ، والمتهمة على دوطتها ، وأنا على نفسى .
(وهنا) يجب الهروب برداء منزوع الحزام وبقدم حافية ،
حتى لا يحل بى الخراب من ناحية المال أو النفس أو على الأقل السمعة.
إنه لحظ تحسن أن تضبط متلبسا سأثبت (لك هذا) حتى ولو كان فابيوس[٢٨] هو القاضى.

non ego: namque parabilem amo Venerem facilemque.
illam "post paulo," "sed pluris," "si exierit vir," 120
Gallis, hanc Philodemus ait sibi, quae neque magno
stet pretio neque cunctetur cum est iussa venire
candida rectaque sit; munda hactenus, ut neque longa
nec magis alba velit quam dat natura videri.
haec ubi supposuit dextro corpus mihi laevum, 125
Ilia et Egeria est; do nomen quodlibet illi,
nec vereor ne, dum futuo, vir rure recurrat,
ianua frangatur, latret canis, undique magno
pulsa domus strepitu resonet, vepallida lecto
desiliat mulier, miseram se conscia calmet, 130
cruribus haec metuat, doti deprensa, egomet mi.
discincta tunica fugiendum est et pede nudo,
ne nummi pereant aut puga aut denique fama.

deprendi miserum est : Fabio vel iudice vincam.

فى هذه الفقرة الأخيرة يجتهد هوراتيوس فى تعديد مزايا المحررة ذات الحسن المتاح والسهل صول إليه بأقل التكاليف ووقتما يشاء الشخص بدون تباطؤ . وهناك أيضا ميزة الاختيار إذ خب كل شخص مقاييس الجمال التى تروقه بحيث يشعر وهو بصحبتها كأنه مع حورية . إلا أهم ميزة هى الشعور بالأمان عند لقائها . وهنا يقدم لنا هوراتيوس صورة حية فعلا تجعل رى يتخيل منظر زوج يداهم زوجه ليضبطها متلبسة بالجريمة ، فيدفع الباب محطما إياه من ة غيظه وتتضارب الأصوات ويسود البيت الهرج والمرج وتقفز الزوجة وقد امتقع لونها من ل المفاجأة محاولة الابتعاد عن مسرح الجريمة بينما تقف وصيفتها تولول وتنعى حظها التعس. ا الفارس المغوار فيهرول هاربا دون أن يكمل ارتداء ملابسه حتى لا يضبط متلبسا فيحل به راب بمصادرة أملاكه أو يقتل ويفضح أمره على الملأ . ولا يمكن أبدا تفادى العقاب حتى ولو القاضى نفسه بالدفاع عنه . وهكذا ينهى هوراتيوس هجائية بهذه الصورة المرعبة لمصير ناة ومن ثم يحاول الجميع تجنب هذا المصير التعس .

وهكذا رأينا أن كلا من لوكيليوس وهوراتيوس قد عاش فترة تحول اجتماعى خطير فالأول صر أكثر فترات التاريخ الرومانى اضطرابا ولم تنجح تشريعات الأخوين جراكوس ولا شريعات اللاحقة لها فى مواجهة الشرور الاجتماعية والصراعات السياسية ذات الجذور قتصادية . وعاصر أيضا الإتصال بالشرق ، وخاصة بالثقافة اليونانية مما أدى تغييرات فى ادات الرومانية . وقد تمثل هذا التأثير الثقافى فى حلقة سكيبيو التى ضمت رجال سياسة طباء ومحامين وعسكريين . ومن أهم من ضمتهم هو ترنتيوس الذى تأثر به لوكيليوس الذات عبارته الشهيرة : "أنا إنسان ولا أعتبر أى شيء إنسانى غريب عنى . homo sum : humani nil a ne alienum pu وقد أصبحت هذه العبارة شعارا للوكيليوس ى كان شغوفا إلى أقصى درجة بالمجتمع الرومانى المعاصر له . وقد أدمج سعة اطلاعه مع نة اليومية وبالأسلوب الواضح غير المتكلف الذى أقره الرواقيون وهو ما يتناسب وأسلوبه

اللاذع . ويؤكد كوينتليانوس على أن قراء كثيرين كانوا يعتبرون لوكيليوس الشاعر المفضل [٣٩]. كما يؤكد تاكيتوس على أن البعض كان يفضله على هوراتيوس تماما مثلما فضلوا لوكريتيوس على فرجيليوس [٤٠] . ويشار إليه دائما من قبل الأجيال التالية على أنه متعلم ومفعم بالمرح وسريع البديهة ومهذب وحاد وقاس [٤١] . إن واقعية حياة الرومان من حوله هى التى أدت إلى هذا التنوع المفعم بالحيوية فى موضوعاته . ووسط فيضان متزايد من الفساد وتقلب الحياة والتهديد بترك الكنوز الموروثة ، ارتفع صوته العاقل المرح لكى ينقذ جيله . وقد صدرت نبرات تحذيره من مفكر اختلطت عنده عناصر الثقافة الأكاديمية بالرواقية مما أدى إلى سعة فى أفق تفكيره أنقذته من التحذلق وجعلته حرا فى سخريته . ولم يتميز لوكيليوس ببراعة الأسلوب ، ففى عصره لم يكن الأسلوب اللاتينى قد اكتمل كما يتضح من مقارنة إنيوس وباكوفيوس وأكيوس بنماذجهم اليونانية التى لم يتمكنوا من محاكاة أسلوبها . فما بالنا بهجاء يكتب بلغة الحديث اليومى sermo cotidianus المباشر القوى ولكنه غير مترابط وغير مصقول . بيد أن لوكيليوس أضاف إسهامه لشخصى فى الأدب اللاتينى بدراسته لمبادئ الأسلوب وباتباعه لطريقة واضحة فى التعبير . ومن لخطأ أن نؤكد بإفراط على حنقه رغم أنه أول من جعل الساتورا نقدية ورغم كونه النذير لحنق وفينياليس المحموم إلا أنه كان أقرب إلى هوراتيوس الذى سار على نهجه فقد كانت هجائياته لا مدو كونها محادثات sermones .

وهوراتيوس أيضا عاش عصر قلق ، فتحت تهديد الحرب ينهك الناس أنفسهم جريا وراء مال ويدخلون فى صراعات لا حد لها من أجل الجاه والسلطان [٤٢] . لقد عاصر هوراتيوس فترة هيار الجمهورية وانهيار المجتمع الرومانى معها . رغم أن هوراتيوس اشتهر بكونه الهجاء رومانى الوحيد الذى ظل متحكما فى نبرة نقده بعبقرية منقطعة النظير ليثبت أن الساتورا يمكنها ، تكون فعالة وصارمة دون الاعتماد على السخط والحقد ، وأن الحقيقة مهما كانت بغيضة فمن ممكن أن تقال بابتسامة . ورغم كل هذا نجده فى هذه الهجائية بالذات يتبع نمط لوكيليوس فى هجاء ويرتبط به ارتباطا وثيقا سواء أكان فى الشخصيات أم فى الحرية فى التناول بشىء من

الإباحية ، وهوراتيوس نفسه يعترف بذلك [٤٣] . ولعل سبب اختياره لهذا الموضوع بالتحديد هو ن رذيلة الزنا أصبحت ظاهرة وملمحا من ملامح عصره مما أصابه بالصدمة . ومن ثم فهو حاول بهذه الهجائية أن ينفر من هذه الرذيلة البشعة والتى لا يمكن أن يكون مصير مقترفها أقل ئنها بشاعة .

لقد لاحظنا إشارات فى شذرات لوكيليوس إلى نساء عاديات وفى أغلب الظن ريفيات إذ أن وكيليوس كان معتادا على حياة الريف . كما نجد عنده وصفا رائعا للأم الحانية على وليدها والأخرى المدافعة عن صغارها بضراوة اللبؤة . وصور لنا الزوج الحانى على زوجه المخلصة فى حياته ومماته ، ورأينا احترام الزوج لزوجه وإظهار مودته وإعزازه لها حتى أمام الخدم ، ودعاءه لها بموفور الصحة . وعلى العكس من هذا فقد صور لنا الزوجة الخائنة التى تتعلل بالخروج للتسوق أو لزيارة قريباتها حتى تغطى على علاقاتها المشينة . ورأينا الزوجة التى تبدى زينتها للغرباء وتبخل بها على زوجها . ورأينا الزوجة المهملة فى شئون بيتها . ورأينا الفاسق الذى يحاول إغواء عقيلة ليست فوق الشبهات ، والآخر الذى ينضح الطرف عن انحراف زوجه بسبب جشعه الذى سلبه النخوة والرجولة . ثم صور لنا بنات الهوى المحترفات اللائى يتفنن فى تجريد من يقع فى أيديهن من كل ما يملك . وسمعنا نصيحته بالابتعاد عن العقيلات والذهاب إلى من لا يكلفن الكثير سواء أكان من المال أم السمعة . وأخيرا رأينا النمط السوى من الرجال الذى لا يترك نفسه للضياع ويقبل على الزواج بكل متاعبه إذ يحدوه أمل كبير هو إنجاب أطفال يحملون اسمه . ولعل هذا التنوع فى الأنماط يعكس لنا روح العصر الذى عايشه وكيليوس ، فقد كان به أسر مازالت تتمسك بأهداب الفضيلة وسنة السلف بينما استجابت أسر أخرى للتغييرات الجديدة على المجتمع الرومانى . ومن ثم رأينا هذه الأنماط المتباينة فى شذرات وكيليوس .

أما هوراتيوس فقد اشار عرضا فى بداية هجائيته إلى الزمارات والممثلات المنزعجات موت تيجلليوس الذى كان كريما معهن عكس فوفيديوس المرابى . ثم يركز طوال هجائيته على

المقيلة matrona وزيها المحتشم والخدم والحشم الذين يحيطون بها ويقارنـــها بـــالمحررة التـــى تحـــررت من ملابسها مثلما تحررت من العبودية . ويصف لنا كيف أن الأولى منيعـــــة بينمـــا الثانية سهلة المنال ، وينصح بالابتعاد عن الأولى واللجوء إلى الثانية . ولا يفوتنى أن أذكر بـــأن مفهـــوم الزنا فى ذلك الوقت كان مختلفا ، فهو لا يعتبر هكذا إلا إذا كانت المـــرأة متزوجـــة أو خليلة . ومن عداها من النساء كان مباحا دون التعرض لأية مساءلة قانونية . فكل ما كان يشغلهم هو عدم تدنيس رجل لفراش رجل آخر والحفاظ على الأنساب . وكم كان هوراتيوس حكيما عندما نصـــح بالانصياع لأوامر الطبيعة أى الفطرة الســـوية بأن يهجر الإنسان الباطل ويســـــعى إلـــى الحق . ولعل تفشى ظاهرة الزنا فى عصر هوراتيوس إلى درجة مفزعة هو الذى جعلـــــه يفـــرد هجائية بأكملها تقريبا لشـــرح مخاطر هذه الرذيلة بصور واقعيـــة مفعمـــة بالحيويـــة عســـى أن يستجيب له معاصروه بعد أن يقتنعوا بأن الزنا كان فاحشة وساء سبيلا .

Notes

(١) الأغلبية العظمى من النساء فى أثينا كن يتزوجن فى سن مبكرة وكانت حياتهن تنحصر فى ثلاث واجبات رئيسية هى تربية الأطفال وإنتاج الملابس وإدارة شئون المنزل . ولم تكن للمرأة أية حقوق سياسية ولا حتى حق الاحتفاظ بممتلكات . أما الفقيرات ، وخاصة الأرامل، فكن يكسبن قوتهن من بيع الغزل أو بالعمل كممرضة أو مربية أطفال أو ببيع الأوشحة وأكاليل الزهور والخبز والخضر . أما غير المتمتعات بالجنسية والإماء فكن محظيات أو خليلات ، هذا للمثقفات الحسناوات ، أما المعدمات فكن يعملن بالبغاء .

(٢) Abbott F.F., Society and Politics in Ancient Rome . New York 1963. pp. 5 -6.

(٣) Daniel W. B. , Roman Private life and its survival. New York 1963. pp. 56-7.

(٤) Sat. 11. 64 - 76 ; Sat. 14. 161 - 72.

(٥) Daniel, op. cit. pp. 42 - 5 .

(٦) Foley H. P. , Reflection of Women in Antiquity. New York 1986. pp. 379 - 80.

(٧) Rudd N. , Themes in Roman Satire. London 1986. pp. 195 - 6.

(٨) V. M. 9, I , 3.

(٩) Baldson J.P.V.D. , Roman Women. U.S.A. 1975. pp. 34 - 63 .

(١٠) Dilke O.A.W., The Ancient Romans. London 1975. p. 158.

(١١) Abbott, op. cit. p. 97.

(١٢) Pro Caelio, 48 - 50.

(١٣) Mart. 6. 66.

(١٤) Prop. I. 8A; 2, 16; 2, 26, 21 - 28 .

(١٥) Odes, 3, 6, 17 - 32.

(١٦) Sat. I. , 56 - 7.

(١٧) Odes, 3, 9, 19; 4, 13, 7.

(١٨) Prop. I, 2, 26 - 30.

(١٩) Ovid. , AA 3, 319 f, 349 f.

(٢٠) Odes 4, 13 .

(٢١) Baldson, op. cit. p. 230 - 31 .

(٢٢) Foley, op. cit. p. 381.

(٢٣) Ibid. pp. 382 - 6.

(٢٤) Baldson, op. cit. p. 215 .

(٢٥) هو جايوس لوكيليوس Gaius Lucilius وقد ولد عام ١٨٠ ق.م في سويسا أورونكا Suessa Aurunca الواقعة على حدود كامبانيا والتى كانت قديما مدينة اتروسيكية ثم أصبحت جزءا من لاتيوم الجديدة . ويبدو أنه كان ينتمى إلى طبقة مساوية لطبقة الفرسان فى روما إلا أنه لم يحصل أبدا على المواطنة الرومانية على الرغم من أنه الخال الأكبر لبومبيوس الذى كانت جدته أختا للركيايوس ، وعلى الرغم من أن أخاه نفسه كان مواطنا رومانيا ثريا وعضوا بمجلس السناتو ، وعلى الرغم من أنه أمضى الجزء الأكبر من حياته فى روما وتعرف على بعض أفضل مفكرى عصره ، بل وصادق بعض السياسيين وكان أقربهم إليه هو رجل الدولة سكيبيو أيميليانوس Scipio Aemilianus الذى اصطحبه معه إلى أسبانيا إبان الحرب النومانتينية ثم عاد عام ١٣٣ ق.م ليشهد احتفالات سكيبيو بالنصر عام ١٣٢ ق.م وليشهد الاضطرابات التى سادت روما إثر مقتل تيبريوس جراكوس. وقد تأثر سلبا من إعادة توزيع الأرض الذى بدأه أعضاء لجنة تيبريوس . وقد تابع باهتمام كبير الطلب المتزايد من قبل الإيطاليين على المواطنة الرومانية .

وفى تلك الأثناء بدأ لوكيليوس إنتاجه الأدبى الذى اتخذ شكل الساتورا . ففى عام ١٣١ ق.م ألف ثلاثة كتب هى السادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين . وانتهى

من كتابه التاسع والعشرين عام ١٢٩ ق.م . وكانت هذه الكتب الأربعة بأوزان مختلفة . أما الثلاثون فكان بالوزن السداسى فقط وهو الوزن الذى نظم به كل الهجائيين الرومان التاليين له . وبعد فترة صمت نتيجة للاضطراب السياسى الذى كان يسود روما ونتيجة لطرد من لم يكن يتمتع بالمواطنة الرومانية ، بعد فترة الصمت هذه ظهر عام ١٢٣ ق.م الكتاب الأول للوكيليوس وهو بداية لسلسلة شملت واحد وعشرين كتابا جميعها بالوزن السداسى . وقد صدر الكتاب الثانى عام ١٩ ق.م والثالث والرابع حوالى عام ١١٨ ق.م . وبعد أن انتهى من الكتاب الخامس حوالى عام ١١٦ ق.م أصيب بمرض عضال بعد أن أصاب قدرا كبيرا من الشهرة فى فترة كانت روما تنعم خلالها بسلام نسبى . ثم ظهر الكتاب الحادى عشر بين عامى ١١٦ ق.م و١١٠ ق.م . وحوالى عام ١٠٨ ق.م ظهر الكتاب السابع عشر . أما العشرون فقد ظهر عام ١٠٦ ق.م . وعام ١٠٥ ق.م توقف عن الكتابة واعتزل الحياة العامة لظروف صحية واستقر فى نابولى . وهناك كتب إليجياته عن عبيده ورواليه ، ونشرت بعد وفاته على أنها الشىء الوحيد الذى كتبه خارج نطاق الساتورا . وبمرور الوقت أضيفت إلى كتبه الواحد والعشرين لتصبح خمسة وعشرين . وفى نابولى توفى لوكيليوس حوالى عام ١٠٢ ق.م .

وفى هجائياته يكشف لوكيليوس عن حياته الشخصية وحياة الآخرين المعاصرين له وعن كل مناحى الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية . وترجع شهرة لوكيليوس أساسا إلى قوته فى النقد وهو يشبه فى ذلك شعراء الكوميديا القديمة ولكنهم كان هدفهم الأول هو التسلية بينما هدفه هو الإصلاح الاجتماعى . وبما أنه أول من خصص ثلاثين كتابا ضمنها انتقاداته اللاذعة هذه ، وبما أنه أول من جعل الوزن السداسى هو الوزن الرسمى للساتورا ، فقد أعتبر أبو الساتورا . وذلك على الرغم من أن إنيوس هو مبدعها ، فهو أول من جمع أشعارا ذات موضوعات وأوزان مختلفة فى كتاب واحد وسماها saturae وهو أول من استعمل هذا العنوان لنوع أدبى جديد عبارة عن مجموعة مقتطفات شعرية بأوزان مختلفة

يتحدث فيها عن موضوعات مختلفة أيضا .

ومن المعروف أن لوكيليوس انضم إلى حلقة سكيبيو أفريكانوس الأصغر ولايليوس ونبلاء آخرين ، تلك الحلقة التي شجعت على انتشار الثقافة اليونانية في روما . إلا أن لوكيليوس لم يتجه إلى الأدب اليوناني ليبحث عن مادة لأشعاره ، فقد كانت أمامه حياة روما لينهل منها . انظر :

Duff J. W. , Roman Satire ; It's Outlook on Social life . Cambridge 1937. p. 44.

Remains of Old Latin III Lucilius - The Twelve Tables. Newly edited and Translated by Warmington E.H. London 1938. pp. VII - XX .

٢٦) هو كوينتوس هوراتيوس فلاكوس Quintus Horatius Flaccus وقد ولد في فينوسيا Venusia بجنوب إيطاليا عام ٦٥ ق.م . وكان أبوه مولى بالعتاق وينتسب بالولاء إلى قبيلة الهوراتيين التي كانت تسيطر على بلدته . وكان أبوه يعمل بجباية الضرائب وكان يملك مزرعة صغيرة مما جعله قادرا على توفير تعليم ممتاز لابنه . إذ ذهب به إلى روما وألحقه بمدرسة أوبيليوس Orbilius ، وبعد انقضاء عهد التلمذة رحل إلى أثينا وسار إلى الأكاديمية يبحث عن الحقيقة بين أشجارها . وبينما هو منكب على دراسته بلغته أنباء مقتل يوليوس قيصر وقدم بروتوس في نفس العام (٤٤ ق.م) إلى أثينا وانضم إليه هوراتيوس الذي كان متحمسا للجمهورية واشترك معه في معركة فيليبي عام ٤٢ ق.م . وهزم الجيش الجمهوري وانتهى عمل هوراتيوس به وصودرت أملاك والده وواجه ظروف صعبة إذ عمل ككاتب للرقيب المالي (الكوايستور) ليكسب قوته . إلى أن قدمه صديقاه فرجيليوس وفاريوس إلى مايكيناس نصير الأدباء عام ٣٨ ق.م . وبالتالي اتصل بأوكتافيانوس (أغسطس) نفسه وتحسنت أحواله تدريجيا إلى أن منحه مايكيناس عام ٣٣ ق.م مزرعة على التلال السابينية وفرت له الأمان وأعادته للكتابة مرة أخرى . وقد لاحظ هوراتيوس أن مستقبل روما يتوقف على الحكومة المستقرة التي وعد بها أوكتافيانوس الذي مجد انتصاره على

أنطونيوس في أكتيوم عام ٣١ ق.م واعتبر النظام الجديد هـو الضمـان الوحيـد للسـلام والمبادئ الأخلاقية بروما . وفي عام ٨ ق.م توفي مايكيناس ليلحق به هوراتيوس في السابع والعشرين من شهر نوفمبر ومن نفس العام .

وقد نشأ هوراتيوس على الفضيلة التي رغبه فيها والده ، كما تفتحت مداركه علـى الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية في كل من روما وأثينا . كما درس الشعراء اللاتينيين السابقين له وخاصة لوكيليوس وتأثر به كثيرا . واتصل هوراتيوس بالمثقفين في حلقة مايكيناس لمـدة ثلاثين عاما مما أصقل موهبته . كما وفر له مايكيناس المكانة والمكان الذي منه تمكن مـن مراقبـة المجتمع المعاصر له من أول القصر الامبراطوري وحتى العبيد والخدم البسـطاء في مزرعته . وظل هوراتيوس يرقب تلك الفترة الهامة من تاريخ روما إذ عاد إليها السلام وهدأت المشاكل السياسية لتطفر على السطح المشاكل الاجتماعية نتيجـة لازديـاد الـترف والنعيم الذي حققه هذا السلام .

ويشمل انتاج هوراتيوس الأدبي أربعة فنون رئيسية هي الأناشيد Epodi والتي يطلق عليها هوراتيوس اليامبيات Iambi وهي أولى محاولات هوراتيوس في الشعر الغنائي. ثم الأغاني Odes واسمها القديم Carmina . والرسائل Epistulae وهي قريبة جدا من الهجائيات فـي الوزن واللغة والموضوعات . وفن الشعر Ars Poetica وهي رسالة تتناول النقد الأدبـي . أما الهجائيات فقد أطلق عليها هوراتيوس الأحاديث Sermones وهي في كتـابين ، صـدر الأول منها عام ٣٥ ق.م والثاني عام ٣٠ ق.م .

انظر :

Anderson W. S. , Essays On Roman Satire . Princeton 1982 .

Coffey M. , Roman Satire . London 1976 . pp. 63 - 96 .

Dalzell A. , "Maecenas and the Poets", Phoenix X 1956 pp. 151 - 62 .

Duff J.W., Roman Satire : It's Outlook on Social Life . Cambridge 1937 pp. 56-78 .

Fiske G. C. ,Lucilius and Horace. Madison 1966 .

Ramage, Sigbee and Fredericks, Roman Satirists and their Satire. New Jersey 1974

Reckford K. J. "Horace and Mdecenas", TAPA X C 1955 pp. 195 - 208 .

Rudd N. , The Satires of Horace. Cambridge 1966. pp. 1 ff.

(٢٧) باستيلية هى ترجمة pastiltos ومفردها pastillus وهى قطع من الحلوى تفوح منها رائحة عطرة جدا. ويقصد هوراتيوس أن الشخص الأول رائحته زكية بينما الآخر رائحته كريهة.

(٢٨) يقصد هوراتيوس العقيلات إذ أن السيدة المتزوجة كانت تلبس رداء طويلاً يصل إلى كاحلها ويحيط بذيله تطريز لتجميله .

(٢٩) فى مدينة بومبى توجد بقايا ماخور مكون من طابقين وتفتح حجرات الطابق الثانى على الشارع بينما كان للطابق السفلى بابان أحدهما للدخول والآخر للخروج . وكانت بحجراته سراير حجرية تفرش بحشيات . وكانت تغطى جدران المدخل صور فاحشة . وكان المكان حارا وقذرا وكريه الرائحة .

انظر : Baldson, op. cit. p. 225 .

(٣٠) المرأة هنا ترجمة بتصرف فهى كناية عن الجزء إذ أن كلمة cunni هى حالة المضاف إليه لكلمة cunnus بمعنى فرج .

(٣١) من أجل حياته هى ترجمة Pro corpore والترجمة الحرفية هى من أجل جسده .

(٣٢) أمة ذات عباءة هى ترجمة ancilla togata أى الأمة التى ترتدى العباءة toga . والتى كانت ترتدى التوجا هى المواطنة وكذلك المحررة . فهوراتيوس يقصد هنا المحررة التابعة للأسرة بالعتاق وليست الأمة التى مازالت ترزح تحت نير العبودية فهذه كانت ترتدى زيا قصيرا مميزا للعبيد .

(٣٣) امرأة ملفوفة برداء طويل هى ترجمة cunnum velatumque stola وقد سبقت الإشارة إلى أن كلمة امرأة هى كناية عن الجزء . أما stola فهو رداء طويل خاص بالعقيلات فقط .

ينكرس هو أحد ملاحى السفينة أرجو وكان مشهورا بحدة الإبصار .

حرير قوص هو نوع من الحرير الشفاف كانت تشتهر به جزيرة قوص Cos .

فيلوديموس هو فيلسوف يونانى ومولى أو تابع cliens لكالبورنيوس بيسو الذى هاجمه شيشرون فى خطبته In Pisonem "ضد بيسو" التى يصف فيها فيلوديموس هذا الذى كان كاتبا للابيجراما ، وفى هذه الأبيات يلخص هوراتيوس إحدى ابيجراماته .

إليا هى أم رومولوس ، أما ايجريا فهى الحورية التى كانت تلهم الملك نوما .

فابيوس هو كاتب روائى ثبتت عليه تهمة الزنا ومن الطبيعى أن يدافع عمن هم على شاكلته ويحاول تبرئتهم .

Inst. Or. X. i 93.

Dial. De Or. xxiii .

Horace, Sat. II, 1, 62 ff .; Sat. I, 4, 1 ff.; I, 10, 64 .

Persius, I, 23 - 5 ; I, 114 - 5 .

Juvenal, I, 151 ff.

Cicero, De Or. II, 25; I 72; Ad Fam. IX, 15, 2.

Quintil. , X, 1, 94 .

Varro, Ap. Gell. VI, 14, 6.

Rudd N. , Satires of Horace. Cambridge 1966. p. 1.

Sat. II, 4, 92 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- Horatius, Satires, Epistles and Ars poetica, translated by Fairclough H. R., edited by Warmington E. H., London 1970.
- Q. Horatii Flacci Satirarum, edited by Mewes, Berolini Nonis. Octobribus MDCCCLXXX VIIII .
- Lucilius C., Remains of Old Latin, vol. 3, translated and edited by Warmington E. H. , London 1938 .

ثانيا : المصادر المساعدة :

- A. Persi Flacci et D. Iuni Iuvenalis Saturae, edited by Clausen W. V., Oxford 1959.
- Cicero, De Oratore, vol. 1., translated and edited by Sutton W., London 1948.
- Petronius, translated and edited by Michael Heseltine, London 1925.
- Quintilianus, Institutio Oratoria, vol. 3, 4, translated and edited by Buttler H. E., London 1921, 22.

ثالثا : المراجع :

- Abbott F. F., Society and Politics in Ancient Rome . New York 1963.
- Anderson W. S., Essays on Roman Satire . Princeton 1982.
- Baldson J.P.V.D., Roman Women. U.S.A. 1975.
- Coffey M., Roman Satire. London 1976.

- Dalzell A. , "Maecenas and the Poets", Phoenix X 1956 pp.151- 62.
- Daniel W. B. , Roman Private life and it's Survival. New York 1963.
- Dilke O.A.W., The Ancient Romans: How They Lived and Worl London 1975.
- Duff J.W., Roman Satire : It's Outlook on Social Life. Cambridge 1937
- Ehrenberg V., Society and Civilization in Greece and Rome. London 19(
- Fiske G. C., Lucilius and Horace. Madison 1966.
- Foley H. P., Reflection of Women in Antiquity. New York 1986.
- Ramage E. S, Sigsbee D. J. and Fredericks S.C., Roman Satirists and th Satire. New Jersey 1974.
- Reckford K. J., "Horace and Maecenas", TAPA XC 1955 pp. 195- 208.
- Rudd N., The Satires of Horase. Cambridge 1966.
- ---------- . , Themes in Roman Satire. London 1986.